﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ [سبأ: 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

من إطارِ القصّة المحدودِ إلى إطارِ التّدبيرِ الإلهيّ العامِّ والتّقديرِ المُحكمِ الشّامل

بعدَ أنْ ذكَرَ تعالى جَلَّت قُدرتُه قَصَصَ سَبَأٍ، وما كان مِن أمْرِهم في اتِّباعِ الهَوى والشَّيطانِ والجُحودِ والفسوقِ؛ أردَفَ ذلك الإخبارَ بالأسباب التي أدَّتْ بهم، وهي أنَّهم صدَّقوا ظَنَّ إبليسَ فيهم وفي أمثالِهم ممَّن ركَنوا إلى الغَوايةِ والضَّلالِ؛ إذ تسَلَّطَ عليهم، وانقادوا إلى وسوستِه إلى ذلك فقال: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَدَّقَ﴾: (صدق) أصلٌ يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيْءِ في القَوْل وغَيره، ومِنْ ذَلِكَ: الصِّدْقُ: ضِدُّ الكَذِب، سُمِّيَ صِدْقًا؛ لِقوَّتِهِ في نَفْسِه؛ ولِأَنَّ الكَذِبَ باطلٌ لا قوَّةَ لَهُ، و(صَدَّق) يدلُّ على كَثرةِ الصِّدقِ[2]، ومعنى ﴿صَدَّقَ﴾ في الآية؛ أيْ: صدقَ ظنُّه ذلك فيهم، فحقّق ذلك بهم، وباتّباعهم إيّاه[3].

2) ﴿ظَنَّهُۥ﴾: (ظنّ) أصلٌ يَدُلُّ على مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ؛ يَقينٍ وشَكٍّ، ومن الأوّل قولُهم: مَظِنَّةُ الشَّيْءِ: مَعْلَمُهُ ومَكانُه، ومن الثّاني قولُهم: الظِّنَّةُ: التُّهَمَةَ[4]، ويدورُ معنى الظّنّ على توقُّعِ وجودِ شيءٍ مُهِمٍّ؛ لأمارَةٍ أو دليلٍ قويَّينِ[5]، فمتَى قويتْ هذه العلامَةُ أدَّتْ إلى

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 512، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 22/ 75، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 283.

(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والفيّوميّ، المصباح المنير: (صدق).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 391، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 540.

(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ظن).

(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ظنن).

اليقين والعِلْم، ومتى ضَعُفَتْ جدًّا لم يتجاوزِ الظَّنُّ حدَّ التَّوهُّم[1]، ومعنى الظّنّ في الآية؛ أيْ: توقّعُ إضلالِهم وإغوائِهم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعقيبٌ عامٌّ لبيانِ السّنّةِ الإلَهيّة في الإغواءِ والهداية، وتنبيهٌ إلى مكائدِ الشّيطان

يبيّنُ اللّهُ السّنّةَ الإلَهيّة في الإغواءِ والهداية، فيقول: لقد حقّق إبليسُ ظنّه فيمن أطاعهُ من النّاس، ومنهم أهلُ سبأ حين انخدعوا لوسوسته، فهو لمّا وسوسَ لهم ظنَّ أنّهم يطيعونه، أو صَدَقَ إبليسُ في ظنّه أنّه إذا أغواهم اتّبعوه؛ لأنّه بمجرّد أنّ زيّن لهم المعاصي أطاعوه، إلّا فَريقًا مِنَ المؤمِنينَ المُخلصينَ للّهِ تعالى، الثّابتينَ على توحيدِه وطاعتِه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) ودلالتُها في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾:

عودةٌ إلى حكايةِ واقعِ الكفّار أو انتقالٌ من حكايةِ الماضي إلى عظةٍ عامّةٍ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ إمّا أنْ تكونَ عاطفةً، والمعطوفُ عليه إمّا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ [سبأ: 7]، وما بيْنَهما مِن الأخبارِ المَسوقةِ للاعتبارِ واقعٌ مَوقِعَ الاستِطرادِ والاعتِراضِ؛ أيْ: إنّه عودةٌ إلى حكايةِ موقف كفّار مكّة وواقعِ أمرهم، وتعليلٌ لذلك بعدما جاءهمْ من الموعظةِ ما جاءهم، أو أنْ يكون المعطوفُ عليه ما سبقَ من قصّة قومِ سبأ[3]، ويكون كذلك تعليلٌ لحالهم وواقعِ أمرهم، وقد تكون الواو استئنافيّةً؛ أيْ: "إنّ قصّةَ سبأ انتهتْ عند قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أيْ: على جنسِ النّاس؛ فتكون الآيةُ عامّةً في كلّ مَن اتّبعه"[4].

---

(1) الرّاغب، المفردات: (ظنّ).

(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 391، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 183، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 284.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 182.

(4) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 677.

أثر التّوكيد باللّام وبـ (قد) في قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾:

تأكيدُ تحقُّق ظَنّ إبليس في قومِ سبأ، أو بني آدمَ ممّن اتّبعَه في قدرتِهِ على إغوائهم

صُدّر قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ باللّام الواقعة في جوابِ القسم المحذوف، وبحرفِ التّحقيق (قد)؛ فاجتمعَ تأكيدان لمضمونِ الآية، وهو تحقّقُ ظنّ إبليسَ في قوم سبأ أو بني آدمَ ممّن اتّبعه في قدرتِه على إغوائهم، وذلك لإنكار كلِّ أحدٍ أنْ يكون صَدّق ظنّ إبليس فيه[1]، فأفادَ التّوكيدُ مباغتتَهم بشيء يعلمونه ويخفونه.

أثر تنوّع القراءاتِ في ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾:

إبليسُ حقّق ظنّه، أو وجدَهُ صادقًا

﴿صَدَّقَ﴾ في قوله تعالى: ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ فيه قراءتان؛ قرأ عاصم وحمزة والكسائيّ وخَلَف بتشديد الدّال المفتوحة[2]، وعلى هذه القراءة يكون ﴿ظَنَّهُۥ﴾ مفعولًا به، والمعنى: ولقد صدَّقَ عليهم إبليسُ ظنَّه في قدرتِه على إغوائهم؛ أيْ: "حقّقَ ظنّه عليهم حين انخدعوا لوسوسته، فهو لَمّا وسوسَ لهم ظَنَّ أنّهم يطيعونه فجدَّ في الوسوسةِ حتّى استهواهم، فحقّقَ ظنَّه عليهم"[3]، وقرأ الجمهورُ بفتح الدّال بدون تشديد ﴿صَدَقَ﴾[4]، وعلى هذه القراءة يكون ﴿ظَنَّهُۥ﴾ منصوبًا بنزعِ الخافض، والمعنى: ولقد صَدَقَ إبليسُ في ظنّه أنّه إذا أغواهم اتّبعوه؛ لأنّه بمجرّد أنْ زيّنَ لهم المعاصيَ أطاعوه، إلّا فريقًا من المؤمنين لم يطيعوه[5]، أو منصوبًا على المصدريّة، والمعنى: صدقَ عليهم إبليسُ ظنًّا ظنّه وصدقَ في ظنّه[6].

دلالةُ التّعبير بـ (التّصديق)، ولطيفةُ صَوْغِه ماضيًا:

لا يألُ إبليسُ جهدًا وقوّةً في تحقيقِ ظنّه في إغواءِ بني آدم

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ التَّصديق في قوله تعالى: ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾، ولم يَقُلْ: ولقد حقّق عليهم إبليسُ ظنَّه حين

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 489.
(2) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 350.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 183.
(4) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 350.
(5) مكّيّ، الهداية إلى بلوغ النهاية: 9/ 5919، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 284.
(6) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 4/ 14.

انخدعوا لوسوسته؛ وذلك لكون لفظ ﴿صَدَّقَ﴾ أنسبَ مع حالِ إبليس الذي أخذَ على النّفسِ ألّا يألوا جهدًا في إغواءِ بني آدمَ، والصّاد والدّال والقاف تَدُلُّ تصاريفُها على قوّةٍ في الشَّيءِ، قولًا كان أو غيرَه[1]، كما أنّ التّعبيرَ بالتّصديق أنسبُ للسّياق الذي وردَ فيه لفظُ الظّنّ؛ إذ لفظُ الصّدقِ هو الحقيقة، بينما الظّنّ متردّدٌ بين الحقيقةِ وعدمِ الحقيقة، وقدْ صاغَ فعلَ التَّصديقِ ﴿صَدَّقَ﴾ بصيغةِ الماضي؛ للدّلالة على تحقّقِ ظنّ إبليسَ بإغواءِ أناسٍ من بني آدمَ، ولذلك أرسلَ اللّهُ الرّسلَ وأنزلَ الكتب.

معنى (على) ودلالتُها في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾:

عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بحَرْف الاستعلاءِ (على) في قولِه: ﴿صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ رغمَ أنّ المعنى: (صدّق فيهم)[2]؛ للإيماءِ إلى أنَّ عملَ إبليسَ كان مِن جِنسِ التَّغلُّبِ والاستعلاءِ عليهم[3]، وإلى كونِ إبليس في استغوائهم غالبًا لهم في إركابهم ما تشهدُ عقولُهم بأنّه ضلال[4]، و(على) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ مُتعلِّقةٌ بـ ﴿صَدَّقَ﴾؛ كقولك: صَدَّقْتُ عليكَ فيما ظننتُه بك، ولا يتعلَّقُ بالظّنّ[5].

إبليسُ مُستعلٍ ومُتغلِّبٌ ومُسلَّطٌ على مَن استغواهم

مرجع الضّمير المجرور في قوله: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾:

يعودُ ضَميرُ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ إمّا إلى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [سبأ: 7] في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ [سبأ: 7]؛ أيْ: على كفّارِ مكّة ومُشركيهم "بقرينةِ الآياتِ التي جاءتْ بعدَها، وأُمِرَ النّبيُّ ﷺ فيها بتوجيهِ

تحقيقُ إبليسَ ظنَّه في كفّارِ مكّة وقومِ سبأ ومَن تبعهُ من ذريّةِ آدمَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدق).
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التّفسير: 3/ 496.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 182.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 489.
(5) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 543.

الخطابِ إلى كفّارِ مكّة ومشركيهم متحديًّا منددًا"[1]، أو أنْ يعودَ إلى قومِ سبأ المتحدَّث عنهم، على أنْ يكون قولُه تعالى بعْدَ ذلك: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، هو عَودٌ إلى مُحاجَّةِ المشركينَ المُنتقَلِ منها بذِكْرِ قصَّةِ داودَ وسُليمانَ وأهلِ سَبأ، وصُلوحيَّةُ الآيةِ للمَحملَينِ ناشئةٌ مِن مَوقعِها، وهذا مِن بلاغةِ القُرآنِ المُستفادَةِ مِن تَرتيبِ مَواقعِ الآيةِ[2].

الشّيطان بالمرصاد فلا ينجو منه إلّا المؤمنون

ويُحتمل أن يعود ضَميرُ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إلى ذريّة آدمَ ﷺ من الكفّار؛ أيْ: جميعِ الكفّار من كفّار سبأ وغيرهم[3]، قال مجاهد: "على النّاس كلّهم إلّا مَن أطاع الله"[4]، بأنْ يكون الكلامُ ابتداءً، وذلك أنّ إبليسَ قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: 82 - 83]، فكان ذلك ظنًّا منه فصَدقَ ظنُّه[5].

غرض تقديم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على ﴿إِبْلِيسُ﴾:

تحميلُ مَنْ صدّقَ إبليسَ جزءًا من المسؤوليّة وتوبيخًا لهم باستعلاءِ إبليسَ عليهم

قدّم النّظمُ الحكيم الجارَّ والمجرور ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على الفاعل ﴿إِبْلِيسُ﴾؛ تحميلًا لمَنْ حقّق إبليسُ فيهم ظنَّه بإغوائه جزءًا من المسؤوليّة عن تصديقهم لظنّ إبليس، وتوبيخًا لهم بإظهارِ استعلاءِ إبليسَ عليهم، مع امتلاكهمُ العقولَ التي تُظهِرُ لهم ضلالَهُ، والرُّسلَ والكتبَ السّماويّة التي تبيّنُ لهم حقيقتَه، وتكشِفُ لهم تلبيسَه ووسائلَ إغوائه، ولفتًا للانتباه لهؤلاءِ الذين أغواهم إبليسُ؛ تنبيهًا للمؤمنين لئلّا يقعوا فيما وقعَ فيه هؤلاءُ من حبائل إبليسَ، كما أنَّ تقديمَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على اسمِ إبليسَ وتأخيرَه يُعطي انطباعًا بأنّ إبليسَ قد نجحَ في تحقيقِ ظنّه، مما يُبرزُ قوّتَه وتأثيرَهُ السّلبيّ.

(1) دَرْوَزة، التّفسير الحديث: 4/ 277.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 182.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 489 - 490، وابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 490.
(4) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 22/ 87.
(5) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 87.

إيثار التّعبير بـ﴿إِبْلِيسُ﴾ دون (الشّيطان):

توبيخٌ لمَن أعرضوا عن العظيمِ سبحانه، وانخدعوا بالآيسِ من كلّ خيرٍ

عبّرَ البيانُ الحكيمُ بلفظ ﴿إِبْلِيسُ﴾ دونَ الشّيطان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾؛ مبالغةً في التّبكيتِ والتّوبيخ للكافرين، وأنّهم سيحزنون ويندمونَ وقتَ لا ينفعُ ندمٌ؛ لأنّ السّياقَ هو سياقُ الإثباتِ لعظَمةِ الله، وما عنده من الخيرِ، وما له من التّصرّفِ التّامّ الدّاعي ذلك إلى الإقبالِ إليه، وقَصْرِ الهِمَم عليه، ورغمَ ذلك صدّق فيهم إبليسُ ظنَّه، وهو الذي - أي: إبليس - من (البَلَسُ) وهو ما لا خيرَ عندَه[1]، أو الآيسِ من رحمةِ الله، أو من (الإبلاس) وهو اليأسُ من كلّ خير[2]؛ وهذا بخلافِ لفظِ الشّيطانِ الذي يُركّز على بُعْدِ الشّيطانِ عنِ الحقِّ وتمرُّدِه، أو على أنّه مخلوقٌ مِنَ النّار[3].

دلالة التّعبير بالظَّنِّ في ﴿ظَنَّهُۥ﴾:

توقّعُ إبليسَ إغواءَ بني آدمَ بأمارةِ إغواءِ أبيهم قد تحقّق باتّباعِ بعضهم له

في التّعبير بلفظِ الظّنّ في قوله تعالى: ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ مناسبةٌ للمقام؛ فقد قال إبليسُ ما قالَ فيما حكاه اللّهُ عنه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: 82 - 83] بظنٍّ لا بعلم ويقينٍ[4]؛ والظّاء والنّون تدلُّ تصاريفها على توقُّعِ وجودِ شيءٍ مُهِمٍّ؛ لأمارَةٍ أو دليلٍ قويٍّ[5]؛ أيْ: هو توقّعٌ؛ لأنّه لا يعلمُ الغيبَ، ولم يأتِه خبرٌ من الله، أنّه سيغويهم أجمعين[6]، ثمّ صارَ ذلك حقًّا باتّباعهم إيّاه[7].

نُكْتَةُ إضافةِ الظَّنّ إلى إبليسَ:

كيدُ الشّيطانِ ضعيفٌ؛ ولكنَّ الغاوين نفوسُهم أضعفُ

في إضافةِ البيانِ القرآنيّ الظّنَّ إلى إبليسَ في قوله تعالى:

(1) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (بلس).
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 490، والشّربيني، السّراج المنير: 3/ 294.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (شطن).
(4) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 360، وابن جرير، جامع البيان: 20/ 392.
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ظنن).
(6) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 677.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 392.

﴿صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ تأكيدٌ على ضَعْفِ إبليسَ، وأنّه لا سلطانَ قَهْرٍ له على الإنسان؛ وإنّما هو الوسوسةُ والإغواءُ، وعلى أنّ ظنّه هذا توقّعٌ منه لأمارةِ إغوائه آدمَ ﷺ، ولا عِلْمَ عنده من اللّه، وأنّه لا يعلمُ الغيبَ.

غرضُ الحَذْف في قوله: ﴿صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾:

توبيخُ مَنِ اتّبعه من قومِ سبأ، أو من النّاسِ لسُرعةِ اتّباعهم

في قوله تعالى: ﴿صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ إيجازُ حَذْفٍ؛ لأنَّ صِدقَ الظَّنِّ المُفرَّعَ عنه اتِّباعُهم له يَقْتضي أنَّه دَعاهم إلى شَيءٍ ظانًّا استِجابةَ دَعوتِه إيّاهم[1]، وفي الحذفِ توبيخٌ لمَنِ اتّبعه من قومِ سبأ أو من النّاس؛ إذ في الحذفِ إشارةٌ إلى سُرعةِ اتّباعِه.

معنى (الفاء) ودلالتُها في قوله: ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾:

سببيّةٌ تدلُّ على خطورةِ وسوسةِ إبليسَ، وتعقيبٌ يدلُّ على سُرعةِ الاستجابة له

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فاءُ تَفريعٍ وتَعقيبٍ على فِعلِ ﴿صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾؛ أيْ: تَحقَّقَ ظَنُّه حينَ انفَعَلوا لِفِعلِ وسوستِه، فبادَروا إلى العملِ بما دَعاهم إليه مِن الإشراكِ والكُفرانِ[2]، وفي التّعقيبِ دلالةٌ على سُرعةِ استجابتهم لوسوستِه وإغوائه، وفيها معنى السّببيّة[3]؛ أيْ: كانتْ دعوةُ إبليسَ لأهلِ سبأ أو للنّاس، ووسوستِه هي سببُ اتّباعِه، والتّقدير: دَعاهم إبليسُ إلى شَيءٍ ظانًّا استِجابةَ دَعوتِه إيّاهم فاتّبعوه، وفي هذا تنبيهُ المؤمنين إلى مكائد الشّيطان.

دلالةُ التّعبير بالاتّباع في ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾:

بيانٌ لشِدّةِ قُبحِ فعلِ المُتّبعين لإبليسَ ومدى أثرِ إغوائِه فيهم

عبّر النّظمُ الحكيم بلفظِ الاتّباع دونَ غيرِه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾؛ للدّلالةِ على شِدّةِ قُبحِ فعلِ المُتّبعين، ومدى أثرِ إغواءِ الشّيطان فيهم؛ إذ لم يكتفوا بالإذعانِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 183.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 183.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 490، وصالح، الإعراب المفصّل: 9/ 332.

والانقيادِ والطّاعةِ له، وإنّما بمتابعته واقتفاءِ أثره بالارتسامِ لِما رَسمَ، والائتمارِ لِما أمرَ واللّحاقِ به؛ إذ أصلُ الاتّباع في اللّغة: التُّلُوُّ والقَفْوُ[1]، واتّبعه: أدركَهُ ولحِقَهُ[2]، وهذا فيه بذلُ جَهْدٍ منهم، والمعنى: فاتّبعوه بغايةِ الجهدِ بمَيلِ الطّبعِ والاستلذاذِ الموجِبِ للنّزوعِ والتّرامي، بعضُهم في الكُفران، وبعضُهم في مُطلقِ العِصيان[3]، وقد جاء الفعل ماضيًا للدّلالةِ على تحقّقِ هذه المتابعة من قومِ سبأ، وممّن اتّبعَ إبليسَ من النّاس.

مرجع ضمير الفاعل في ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾:

اقتفاءُ أثرِ إبليسَ والائتمارُ بأمره بيانٌ لحالِ أهلِ سبأ أو لحالِ كلّ من تَبعه

يعودُ ضميرُ الفاعل في قوله: ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ إلى أهلِ سبأٍ أو النّاسِ[4]، فإنْ كان الأوّل فالكلامُ تَتِمَّةٌ لقصّة سبأ إمّا حالًا أو عَطْفًا؛ أيْ: بيانٌ لحالِ قومِ سبأ بأنّهم قد حقّقَ الشّيطانُ فيهم ظنَّه بغوايتهم فقدِ اتّبعوه، وإنْ كان الثّاني، وهو عودةُ الضّمير إلى النّاس عمومًا، فهو كالتّذييلِ لقصّةِ سبأ، بذِكْرِ حالِ إبليس مع بني آدمَ وتحقُّقِ ظنّه فيهم، وفي هذا تأكيدٌ لِما حصلَ مع قومِ سبأ؛ من إغواءِ إبليسَ لهم واتّباعهم له[5]، وفي إسنادِ الاتِّباعِ إلى ضميرِ جماعتهم ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ دلالةٌ على إجماعهم على الضّلالِ وبَطَرِ النّعمةِ والكفرِ باللّه باتّباعهم إبليسَ.

معنى ﴿إِلَّا﴾ ودلالتُها في قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾:

الاستثناءُ يُؤذِنُ بأنّ فريقَ المؤمنين قليلٌ بالنّسبةِ لمجموعِ الكافرين

﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أداةُ استثناء، والاستثناءُ من ضميرِ الجماعة في ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾، وهو إمّا استثناءٌ مُتَّصلٌ على قولِ مجاهد، أو مُنقطعٌ على قولِ غيره[6]؛ أيْ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (تبع).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (تبع).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 490.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 130.
(5) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 544.
(6) الشّربيني، السّراج المنير: 3/ 294.

بمعنى لكن[1]، والمعنى: لكنَّ فريقًا من المؤمنين لم يتّبعوه فخابَ ظنّه فيهم، وهذا الاستثناءُ يُؤذِنُ بأنّ الفريقَ قليلٌ بالنّسبةِ للبقيّة، وهذا على القولِ برجوعِ الضّمير إلى بني آدم، أو أنّه قليلٌ في حدِّ ذاته على القولِ برجوعِ الضّمير إلى سبأ؛ لعدمِ شيوعِ كثرةِ المؤمنين في حدّ ذاتهم منهم[2].

دلالة التّعبير بـ ﴿فَرِيقًا﴾:

عبّر البيانُ القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بلفظِ الفريق دونَ غيره؛ لكون لفظِ ﴿فَرِيقًا﴾ من النّاحيةِ اللّغويّة أنسبَ مع المقامِ وحالِ المؤمنين الذين لم يتّبعوا إبليسَ؛ لأنّ جَذْرها اللّغويّ من (فرق)، وهو من الفَصْلِ والتّفريق[3]، والتّفريق يدُلُّ على تمييزٍ وتَزييلٍ بين شَيئَين[4]، والفَرقُ: الانفصالُ عن الشّيء، والفريقُ: جماعةٌ تتفرّق وتنفصلُ عن غيرها[5]، والمؤمنون انفصلوا عن إبليس وجماعته، وتميّزوا وتفرّدوا عنه، وهذا بخلافِ لفظِ الطّائفة والفئة والجماعة؛ لأنّها لا تتضمّن معنى الانفصال والتّمييز والانفراد، وأمّا لفظُ الفِرقة فغيرُ مناسبٍ هنا؛ لأنّ المؤمنين وإنْ كانوا قليلًا بالنّسبةِ لمجموعِ الكافرين، إلّا أنّهم ليسوا فرقةً وإنّما فريقٌ؛ لأنّ الفرقةَ طائفةٌ مِنَ النّاس، والفَريقُ أكثرُ منه[6].

المؤمنون انفصلوا عن إبليسَ وتميّزوا وتفرّدوا عنه

غرضُ التّنكير في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا﴾:

نكّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿فَرِيقًا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لإفادةِ الإبهامِ الذي يُفيدُ التّشويق، وقد بيّنه بقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولإفادةِ تفخيمِ شأنِ هذا الفريق الذي هو

المؤمنون الذين لا يُغويهم الشّيطان في كلِّ زمنٍ قِلَّةٌ

(1) السّيوطيّ والمحلّي، تفسير الجلالين، ص: 566.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 308.
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (رفق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرق).
(5) الرّاغب، المفردات: (فرق).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (فرق).

المؤمنون كلّهم، أو بعضُ المؤمنين الذين سلّمهمُ اللّهُ من الذّنوب، وهمُ المخلصون الذي قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42]، ولإفادةِ التّقليلِ كذلك، والتّقليلُ إمّا لعمومِ المؤمنين بالنّسبة للكفّار، أو لمؤمني قومِ سبأ بالنّسبةِ لكفارهم.

معنى (اللّام) ودلالتُها في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

كـلُّ مـؤمـنٍ كاملٍ في إيمانه سالمٌ من غوايةِ إبليسَ بالكفرِ أو الاتّباع

(اللّام) في لفظ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ للاستغراق[1]؛ أيْ: المقصود كلّ مؤمنٍ كاملٍ في إيمانه، سواءٌ كانت ﴿مِّنَ﴾ بيانيّة؛ أيْ: إلّا فريقًا هم كلّ المؤمنين لم يتّبعوه، وتقليلُهم بالإضافة إلى الكُفّارِ، أو كانت تبعيضيّة؛ أيْ: إلّا فريقًا من جنسِ المؤمنين في الأزمانِ والبلدان، وهم المؤمنون العريقون في الإيمان، فكانوا خالصين للّه مُخلِصينَ في عبادته، وأمّا غيرُهم فمالوا معه، وكان منهم المُقلّ ومنهم المُكثر بالهَفَوات والزّلّات الصّغائرِ والكبائر[2].

لطيفة جمعِ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

المـؤمـنـون إنْ وقـعـوا في المعاصي فسُرعانَ ما يتوبون

يـدلُّ مَجـيءُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بصيغة اسـم الفاعـل الذي يدلُّ على الثّباتِ والـدّوام للدّلالة على كونِ المقصـود من المؤمنين هم المُخلَصـون[3]، عند مَن رأى هذا المعنى، وعند غيرهم فللدّلالة على استمرارِ المؤمنين على إيمانهم، وعدمِ كفرهم وإنْ وقعوا في شِراكِ بعض المعاصي، فسُرعانَ ما يتوبون إلى ربّهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الظَّنُّ والشَّكُّ:

الظّنُّ توقُّعُ وجودِ شيءٍ مُهِمٍّ؛ لأمارَةٍ أَو دليلٍ قويَّينِ[4]، فالظّنُّ هو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 183.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 491، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 130.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 130.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ظنن).

قوَّةُ أحدِ الشَّيْئَيْنِ على نقيضه في النَّفس، وأمّا الشّكُّ فهو التَّرَدُّد في أَمريْن لا مزيّةَ لأحدهما على الآخر[1]؛ أي: الظَّنُّ رُجْحانُ أحدِ طرفي التّجويز، أي: قوَّةُ المَعْنى في النَّفس من غير بُلوغ حال الثِّقَة الثابتة، بينما الشَّكُّ هو اسْتِواءُ طرفي التّجويز؛ لِأَنَّهُ لا دَليلَ هُناكَ ولا أَمارَة، فهوَ وقوفٌ بَين النّقيضيْن من غير تَقْوِيَة أَحدهما على الآخر[2]؛ أي: اعتدالُ النّقيضَيْن عند الإنسانِ وتَساويهما، وذلك قد يكون لوجودِ أمارَتَيْن مُتساويَتَيْن عند النَّقيضَيْن، أو لعدَمِ الأمارةِ فيهما، فهو ضرْبٌ من الجَهل.

الظّنّ رُجْحانُ أحدِ طَرفي التّجويز لأمارةٍ أو دليلٍ، والشّكُّ اسْتِواءُ طَرَفي التّجويز

(1) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين، ص: 424.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 99.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»